[شرح القواعد الأربع]

ألقاه الفقر لربه
عيسى بن سالم بن سدحان العازمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وأصلِّي وأسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.
أما بعد...

فهذا هو الشرح على **[القواعد الأربع]** للإمام المجدِّد/ محمد بن عبد الوهاب التميمي المشهور بإمام الدعوة السلفية النَّجدية-رَحِمَهُ اللهُ-.

والإمام/ محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ- له مؤلفات كثيرة:

- منها:القواعد الأربعة.
- ومنها:**الأصول الثلاثة.**
- ومنها:**كتاب التوحيد.**

وغير ذلك من الكتب، فكان -رَحِمَهُ اللهُ- قد وفَّقه الله -عَزَّ وَجَل- في التأليف.

ومعنا اليوم من الكتب التي ألَّفها -رَحِمَهُ اللهُ- كتاب **[القواعد الأربع]**،ولعلَّنا نأخذ شيء من سيرة الإمام/ محمد بن عبد الوهاب على وجهٍ مختصر.
وُلد-رَحِمَهُ اللهُ- في بلدة العيينة قرب مدينة الرياض، سنة (١١١٥) من الهجرة النبوية، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير، وتتلمذ على والده قاضي العيينة في وقته.
وقد برز -رَحِمَهُ اللهُ- في العلم منذ الصغر، وألَّف كتب كثيرة -رَحِمَهُ اللهُ-،وقد سافر أو قد خرج في طلب العلم إلى بلدان،فطلب العلم -رَحِمَهُ اللهُ- حتى وفَّقه الله وأدرك الشيء الكثير من العلم، وكان -رَحِمَهُ اللهُ-معروفًا بالدعوة إلى الله ونبذ البدع والخرافات.
وقد وفَّقه الله -عَزَّ وَجَل- بالتمسك بالكتاب والسُنَّة، فمن قرأ كتبه -رَحِمَهُ اللهُ-وجد أن هذا الرجل كان ممَّن وفَّقه الله بالالتزام بالكتاب والسُنَّة،وقد بقي طيلةحياته -رَحِمَهُ اللهُ- داعيًا إلى الله، آمرٍ بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، حتى توفاه الله تعالى في الدرعية قرب مدينة الرياض سنة (١٢٠٦)للهجرةرحمه الله وعفا عنَّا وعنه.
ومن هذه الكتب التي ألَّفها -رَحِمَهُ اللهُ-: كتاب **[القواعد الأربع].**

وهذه القواعد ينبغي لطالب العلم أن يتعلَّم هذه القواعد وأن يعرفها معرفةً جيدة؛ لأن في هذه القواعد بيَّن -رَحِمَهُ اللهُ-فيها التوحيد وما ينافيه وهو الشرك، يعني من عرف هذه القواعد فهِمَ التوحيد وفهِمَ ما يناقضه من الشرك،وقد أخذ هذه القواعد -رَحِمَهُ اللهُ- من الكتاب والسُنَّة.

فابتدأ المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- كتابه بالسملَّة؛ قال:**بسم الله الرحمن الرحيم**،**ابتدأ المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- كتابه بالبسملَّة لأمورٍ ثلاثة:**

✓ **الأول**: اقتداءً بكتاب الله عَزَّ وَجَل:

فقد افتتح الله -عَزَّ وَجَل- كتابه بالبسملة واختتمه بالبسملة من سورة "الفاتحة" إلى سورة "الناس"، كل سورةٍ مبدوءة بالبسملة، عدا "براءة"؛ لأنها أشكلت على الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم-:هل هي من السورة التي قبلها أو هي سورة مستقلة؟فلم يضعوا لها بسملة.

✓ **ثانيًا**: اقتداءً بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فإن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان في مراسلاته ومكاتباته يبدأ كتبه بالبسملة، كما جاء في [صحيح البخاري]: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرسل إلى هرقل ملك الروم، وقال:**«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدُ الله وَرَسُوله إِلَى هِرقل مَلِك الرُّوم»**.

✓ **ثالثًا**:ابتدأ المؤلف –رحمه الله- بالبسملة لحديثٍ :**«كُلُّ أَمرٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْم الله فَهُو أَبْتَر»**

يعني: أقطع.

وهذا الحديث له طرق كثيرة بمجموع طرقه حسَّنه بعض العلماء، منها:**«كُلُّ أَمرٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بحمدِ الله»** إلى غير ذلك من الأحاديث.

قال:**(بسم الله الرحمن الرحيم)** هذه البسملة افتتح المؤلِّف -رَحِمَهُ اللهُ-كتابه بها،وقوله:**(بسم الله)** الباء للاستعانة، والجار والمجرور متعلِّق بمحذوف، متأخر مناسب للمقام تقديره عند القراءة:"بسم الله أقرأ"، يعني نقول:الجار والمجرور متعلِّق بمحذوف متأخِّر مناسب للمقام،**فعند القراءة**:"بسم الله" تقدير،"بسم الله" أقرأ،**وعند الكتابة**:تقديره "بسم الله"، "بسم الله" أكتب، وهكذا.

وقوله:**(بسم الله)** الله -عَزَّ وَجَل- اسمٌ من أسماء الله تعالى مختصٌّ به، لا يسمى به غيره، وهو الاسم التي ترجع إليه الأسماء وتضاف إليه.

والدليل على ذلك؛ قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[الأعراف:١٨٠].

و(الله) أصله "الإله"، حُذفت الهمزة وأُدغمت اللام في اللام، فصارت (الله).

والإله: هو المعبود حبًّا وتعظيمًا.

و(الرحمن) على صيغة "فُعلان"،كما يقال:"طفشان" و"زعلان" هذه صيغة "فُعلان".

(الرحمن) أي ذو الرحمة العامة الواسعة التي شملت جميع الخلق، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٢-٣].

وقوله:﴿الرَّحِيمِ﴾ أي: ذو الرحمة الخاصة، وهذه الرحمة خاصة بالمؤمنين، **والدليل على ذلك**: قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب : ٤٢٣].

ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ-:(القواعد الأربعة):

(القواعد)جمع:قاعدة، والقاعدة هو ما يبنى عليه غيره.

المتن

أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يجعلك ممَّن إذا أُعطى شكر، وإذا أُبتلي صبر، وإذا أذنب استغفر؛ فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملَّة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، كما قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦]. **فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة. فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** [النساء: ٤٨]. **وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.**

الشرح

ثم قال: **(أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يجعلك ممَّن إذا أُعطى شكر، وإذا أُبتلي صبر، وإذا أذنب استغفر؛ فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة).**

في هذه الجملة دعاءٌ من المؤلِّف -رَحِمَهُ اللهُ- للمتعلِّمين، فيدعو لهم أن الله -عَزَّ وَجَل- يتولَّاهم وأن يجعلهم مباركون وأن يجعل من **(ممَّن إذا أُعطى شكر، وإذا أُبتلي صبر، وإذ أذنب استغفر)**.

وأخبر-رَحِمَهُ اللهُ-أن هؤلاء عنوان السعادة؛ هكذا ينبغي للمعلِّم أن يكون رحيمًا بالمتعلِّم وأن يكون الداعي راحم بالمدعو؛لأن هذا من أسباب القبول.

ولذلك كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالمؤمنين، هكذا كما قال الله تعالى عن نبيّه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩]، وقال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، فهكذا ينبغي للمعلِّم أن يكون رحيم بالمتعلِّم.

قال: **(أسأل الله الكريم)**:

(الكريم): كثير الخير والعطاء.

(رب العرش)،**(العرش)** هو سرير الملك، وهو العرش الذي استوى عليه الله -عَزَّ وَجَل- استواءً يليق بعظمته؛أي: علا عليه.

(العظيم) أي: أن هذا العرش عظيم، ومن ذلك: أنه أكبر المخلوقات، العرش أكبر المخلوقات، لذلك هذا العرش عظيم،وهو سقف المخلوقات، كما جاء في الصحيح أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال عن الجنة:«**وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ**».

(أن يتولَّاك) أي: أن يتولَّاك ويجعلك قريبًا منه، وأن يجعلك ممَّن وفَّقه وهداه وأصلحه.

(في الدنيا والآخرة) أي: في الدنيا وفي الآخرة أي يوفّقك ويتولاك في الدنيا والآخرة.

(وأن يجعلك مباركًا أينما كنت) أي: أن الله يجعل في عملك البركة أينما كنت.

والبركة: هي الخير الكثير الثابت، ومنه البركة؛ لأنها مجمع الماء؛ فالماء يجتمع فيها ويثبت، ومنه قالوا:"بروك البعير" أي: ثبوته في مكانه،أي ثبت في مكان.

والبركة قلنا: الخير الكثير، والبركة أن يجعل الله -عَزَّ وَجَل- في عملك البركة، بركة في علمك، وبركة في عملك، إلى غير ذلك.

مثال ذلك البركة في العلم: أن يجعل الله في علمك بركة؛ بحيث أن يجعل الله في علمك سبب لتعليم جاهل، أو نشر لعلم إلى غير ذلك.

والبركة في العمر؛ بحيث أن الله -عَزَّ وَجَل- يجعل عمرك مبارك، تصل رحمك وتؤدي ما أمرك الله به وتنتهي عمَّا نهاك الله عنه.

(أينما كنت) يعني: في أي مكان كنت.

قال:**(وأن يجعلك ممَّن إذا أُعطي شكر)**أي: إذا أعطاه الله -عَزَّ وَجَل- شكر، والشكر يكون باللسان وبالقلب وبالجوارح،**هذه هي أركان الشكر**:

- اللسان.
- والقلب.
- والجوارح.

أما شكر اللسان؛ بأن تحدِّث أن هذه النعمة من الله -عَزَّ وَجَل- وتثني عليه، فتقول:"أحمد الله وأُثني عليه؛ فقد رزقني بكذا وكذا"، فتشكر الله -عَزَّ وَجَل- على هذه النعمة.

الثاني: بالقلب؛ بأن تعتقد بقلبك اعتقادًا جازمًا أن هذه النعمة من الله عليك، قد منَّ الله عليك وأعطاك هذه النعمة، فتعترف لله، فتذل وتخضع لله، وتعرف أن لله عليك نعمة.

وبالجوارح؛ بأن تصرفها في عبادة الله، إذا أنعم الله عليك أن تصرف هذه النعمة في عبادة الله وفي طاعة الله.

مثال ذلك:أنعم الله عليك بالعلم، فشكر العلم أن تعلِّم الجاهل، وأن تنصح الذي وقع في خطأ، وأن تنشر العلم فهذا شُكر لهذه النعمة.

قلنا: الجوارح؛ مثل: أعطاك الله -عَزَّ وَجَل- قوَّة في الجسد فتعين المسلمين، تعين أخيك المسلم المحتاج، إلى غير ذلك مما هو شكر.

وما هو الشكر؟

هو طاعة المُنعم، إذا أطعت المنعم فهذا شكر؛ لذلك **الشكر ذكرنا أن له ثلاث أركان**:

- باللسان.
- وبالقلب.
- وبالجوارح.

قال الشاعر:

أَفــَادَتْكُمُ النَّعْمــَاءُ مــِنِّي ثلاثــةً ... يــَدِي ولِســَانِي والضــَّمِيرَ المُحَجَّبــَا

الضمير المحجَّبا: القلب.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-:**(وإذا أبتلي صبر)**،**(إذا أبتلي)** يعني: وقع في ابتلاء -وهو الامتحان والاختبار- صبر على هذا الأبتلاء، وحبس نفسه بحيث إذا وقع في امتحان وأمر لا يلائمه صبر عليه، والصبر هو الحبس النفس.

الصبر لغةً: الحبس

وأما شرعًا: هو حبس القلب عن الجزاء، واللسان عن التشكِّي، والجوارح عمَّا حرَّم الله؛ كضرب الخدود وشق الجيب وما أشبه ذلك.

والصبر ثلاثة أنواع:

صبرٌ على طاعة الله.

وصبرٌ عن معصية الله.
وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة.
هذه أنواع الصبر الثلاثة.
صبر على طاعة الله؛ بحيث تؤدي ما أمرك الله به، لا بد أن تصبر على ما أُمرت به، يحتاج إلى صبر.
مثال ذلك: أداء الصلاة يحتاج لصبر؛لأن المسلم يؤمر بأن يقيم كل يومٍ خمس صلوات،هذه الخمس صلوات يكون أوقات حر ويكون أوقات برد، لا بد من الصبر، أن يقوم الشخص في أيام الشتاء يحتاج إلى صبر.
وأن يصبر عن المعصية.
مثال ذلك: شاب شديد البُنية، يعرض إليه من المعاصي مثلًا: تعرض إليه امرأة تريد منه أن يفعل معها الحرام،فيمتنع ويصبر، ويترك المعصية لله،هذا يحتاج لصبر.
الصبر على أقدار الله المؤلمة؛ لأن الإنسان في هذه الحياة معرَّض لأن يقع به بلاء في ماله وبدنه وأهله إلى غير ذلك، فإذا وقع فيه بلاء، وامتحان، قُدِّر عليه، ووقع عليه، فلا بد من الصبر.
مثال ذلك:رجل أصابه مثلًا مرض مزمن، فيحتاج إلى صبر، لا بد أن يصبر، هذه من الأقدار، والصبر عاقبته حميدة كما قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ

يعني: عاقبة الصبر أحلى من العسل.
قال-رَحِمَهُ اللهُ-:**(وإذا أذنب استغفر)** أي: إذا وقع في معصية الله تاب إلى الله واستغفر وأقلع.
(واستغفر)أي: طلب المغفرة من الله،**والاستغفار**: هو طلب المغفرة من الله؛ لأن الإنسان قد يقع منه معاصي؛ لذلك جاء في حديث أبي ذر في [صحيح مسلم] أن الله -عَزَّ وَجَل- قال في الحديث القدسي:**«يا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»**.

«إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»لماذا قُدِّم اللَّيل على النَّهار؟

لأنه-والله أعلم- أن الذنوب أقرب ما تكون في الليل، إذا استتر الإنسان ورأى أنه لا يراه أحد وقع في الذنب، نسأل الله أن يهدينا ويصلحنا.
لذلك الذين **«يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»**منهم من يكون إذا اختفى عن الناس ترك معصية الله ،**«رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»**ما ردَّ إلَّا خوف الله.
(وإذا أذنب استغفر) أي: طلب من الله المغفرة.

واعلم أيها المسلم أنك مهما وقعت في ذنب وتبت إلى الله فإن الله غفورٌ رحيم؛ لذلك من أسماء الله -عَزَّ وَجَل- :[الغفور]، وهذا الاسم لا بد أن يظهر أثر هذا الاسم على خلق الله.

لذلك جاء في الحديث الصحيح أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال:«**والله، إنَّكم لو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَأتى بِقَوْمٍ آخرين يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لهم**».

ولا يعني هذا أن الإنسان يقول أنا ، سأقع في المعصية ثم أتوب. ما يدريك هل تتوب أو يطبع على قلبك فتكون من الهالكين ؟! نسأل الله العافية؛ لأن المعاصي خطيرة؛ قد يعصي الإنسان على أنه يتوب، ولكن يوافيه الأجل قبل التوبة فيموت على معصية وقد يطبع على قلبه فيكون من الهالكين نسأل الله العافية.

لذلك يجب الحذر من المعاصي، ولكن إذا وقع الإنسان فلينزع ويتوب، كما قال الله تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[آل عمران:١٣٥].

والكلام على الاستغفار والتوبة يطول،ولكن على الإنسان أن يكثر من الاستغفار، مهما بلغ من العبادة والعلم والزهد فلا بد أن يستغفر الله؛ لأن الإنسان مهما كان فهو على تقصير.

نقول:الإنسان لا بد أن يستغفر الله ويتوب إليه؛ لذلك إمام المتَّقين وسيد المرسلين محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان يستغفر الله في اليوم مائة مرة،وفي بعض الألفاظ:"سبعين مرَّة"،ففي حديث أبي هريرة في **[صحيح مسلم]:** أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال:«**يا أيها الناس**» قال:«**والله إنِّي لأَستغفِر الله في اليَوْم سَبْعِين مرَّة**».

وجاء في حديث الأغر المزني أنه قال:«**يا أيُّها الناس، تُوبُوا إلَى الله واستغفروا؛ فإنِّي أتُوب في اليُوم مائة مرَّة**»

فلا بد أن يستغفر الإنسان، والله -عَزَّ وَجَل- يحب عبده إذا استغفره وتاب إليه وأناب إليه، وهو يحب -عَزَّ وَجَل- التوَّابين.

ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ-:(**فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة**) لا شك أن هذه (**الثلاث عنوان السعادة**):

- إذا أُعطي شكر.
- وإذا أُبتلي صبر.
- وإذا أذنب استغفر.

هذه لا شك أنها من سعادة الإنسان أن يوفِّقه الله في هذه الثلاث؛ لأن **الإنسان في هذه الحياة معرَّض لهذه الثلاثة**: الابتلاء بالخير والشر، كما قال تعالى:﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[الأنبياء:٣٥].

الثالث: الذنب؛ قد يذنب الإنسان، كما جاء في حديث أنس عند ابن ماجة: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال:«**كلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائين التَّوابُون**».

فإذا وُفِّق الإنسان: إذا أُعطي شكر، وإذا أُبتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فهذا عنوان السعادة كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ-:**(اعلم أرشدك الله لطاعته)(اعلم)** هذه يؤتى بها للتنبه؛ أي: انتبه لما سيُلقى عليك.

(أرشدك الله) يعني: وفَّقك الله وهداك.

(لطاعته) أي: لموافقة أمره،**والطاعة:** هي موافقة المراد فعلًا للمأمور وتركًا للمحذور، هذه الطاعة، بخلاف المعصية.

المعصية ما هي؟

المعصية: هي مخالفة المراد، يعني مراد الله -عَزَّ وَجَل- الشرعي وليس الكوني؛ لأن مراد الله الكوني لا يخرج عنه أحد، المقصود:مراد الله -عَزَّ وَجَل- الشرعي.

المعصية:مخالفة المراد فعلًا للمحذور وتركًا للمأمور،هذه هي المعصية.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-:**(اعلم أرشدك الله)** يعني هذا الدعاء أيضًا من المؤلِّف للمتعلِّم.

(اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملَّة إبراهيم):

قوله:**(أن الحنيفية)** أي: الدين الحنيف المائل عن الشرك إلى التوحيد، المائل عن الباطل إلى الحق، هذا هو الحنيف.

والحنيف:هو المائل،المائل عمَّا سوى الله، المقبل على الله، هذا هو الحنيف.

لذلك الحنف يُطلق على الميل، ومنه: "الأحنف"، بن قيس الأحنف، كان فيه حنف، يعني ميلان في الساقين، فسُمِّي "الأحنف".

(ملَّة إبراهيم)يعني:دين إبراهيم، والملَّة هي الدين.

(أن الحنيفيةملَّة إبراهيم أن تعبد الله) أي: أن تتعبَّد لله حبا وتعظيما بموافقة ما أمرك به والانتهاء عمَّا نهاك عنه، وأن تؤدي ما أمرك به، وأن تنتهي عمَّا نهاك عنه.

(أن تعبد الله مخلصًا له الدين) يعني: لا بد من العبادة والإخلاص معًا، تعبد الله، وتؤدي ما أمرك الله به، وتجمع مع ذلك الإخلاص؛ بحيث تكون في العبادة مخلصًا لله، لا يكون هذه العبادة قد خالطها شرك.

(أن تعبد الله مخلصًا له الدين) أي: قاصدًا الله –تعالى- بالعمل، لا تريد إلَّا الله وأن يوصلك الله لدار كرامته، وهي الجنة.

(مخلصًا له الدين كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]). قوله تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾** أي: ما أوجدت.

﴿الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ يعني: إلَّا لشيءٍ واحدٍ وهو عبادة الله.
وهذه الآية فيها: نفي وإثبات، والنفي مع الإثبات يدل على الحصر.
قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ هذا استثناء مفرَّغ من أعم الأحوال.
قال:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي : أن الله -عَزَّ وَجَل- ما أوجد الإنس والجن لشيء إلَّا لشيءٍواحد؛ وهو عبادة الله، أي: توحيده والتذلُّل له بطاعته والخضوع له، هذا هو الذي أوجدهم الله -عَزَّ وَجَل- من أجله.
قال-رَحِمَهُ اللهُ-: **(فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته)** يعني: إذا تيقَّنت وعلمت هذا العلم أن الله خلقك لعبادته، أي: أن تكون عبد لله.
(فاعلم) قال: تنبَّأ**(أن العبادة)** أي: عبادة الله**(لا تسمى عبادة إلَّا بالتوحيد)** يعني: العبادة ما تكون عبادة إلَّا إذا كان الإنسان موحدًا لله بهذه العبادة؛ بحيث يعبد الله ولا يشرك به أحدًا،هذه هي العبادة؛ لأن **العبادة تقوم على ركنين:**

- **الأول**: الإخلاص لله.
- **الثاني:** المتابعة لرسول الله.

فإذا عمل الإنسان عملًا وافق به السُنَّة-يعني ما شرع الله- ولكنه غير مخلص، فهذه عبادة باطلة لا تصح.
مثال ذلك: رجل يؤدي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويحج البيت، ويؤدي الزكاة، ويشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدا رسول الله، ولكنه يعبد غير الله؛ كأن يدعو صاحب قبر وأن ينذر له -يعني لصاحب القبر- أو يسجد لصنم، أو ما أشبه ذلك، فهذا عبادته باطلة، عمله الذي يعمله باطل،**والدليل على ذلك:** قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥].
إذًا.. العبادة إذا خالطها الشرك فسدت، ثم مثَّل–رحمه الله- مثال قال:**(كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلَّا مع الطهارة)**؛ وذلك أن من شروط الصلاة: الطهارة، فإذا صلَّى الإنسان بغير وضوء أو هو محدث، فصلاته لا تصح، وهي باطلة،**والدليل على ذلك:** قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-:**«لا يَقْبَلُ اللهُ صَلاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يتوضأ»** هذا في الصحيحين من حديث أبي هريرة.
وعندمسلم من حديث ابن عمر: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال:**«لا يَقْبَلُ اللهُ صَلاةً إِلَّا بطهور، ولا يقبل صدقةً من غُلُو»**.
وهذا المثال منه -رَحِمَهُ اللهُ-تقريب للفهم لأن الصلاة لا تصح إلَّا مع الطهارة، وإن كان التوحيد أعظم؛ لأن الإنسان إذا أشرك حبط جميع أعماله وصار من الخاسرين -نسأل الله العافية-، أما مثلًا: من صلَّى بدون طهور

مرَّةً من المرات صلاته هذه باطلة، ولكن باقي العبادات صحيحة، لكن هذه باطلة،وهذا مثال –من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ-ذكره يقرِّب الفهم للمتعلم، فرحمه الله وجزاه الله خيرًا.

قال-رَحِمَهُ اللهُ-:**(فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة)**:

مثال: أن **(الحدث إذا دخل في الطهارة)** بطلت الصلاة؛ كذلك الشرك إذا دخل في العبادة أبطلها، فصار الإنسان يعمل وعمله باطل، لا يصح؛ لأنه مشرك.

وقد جاء في **[صحيح مسلم]** من حديث أبي هريرة: أن الله -عَزَّ وَجَل- قال:**«أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ»** فلا تصح العبادة مع الشرك، كما أن الصلاة لا تصح مع الحدث.

ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ-:**(فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل)**؛ يعني معنى كلامه -رَحِمَهُ اللهُ-: أن الشرك إذا خالط العبادة ودخل فيها أفسدها، فصارت كأنها لم تكن، وحبطت، أيضًا تحبط، تكون باطلة لا قوام لها.

(وصار صاحبه من الخالدين في النار) يعني: إذا مات هذا المشرك الذي يدعو غير الله أو ينذر لغير لله أو يسجد لصنم أو وقع في نوع من أنواع الشرك،هذا إذا مات على هذه الحالة ما هو مصيره؟ صار من الخالدين في النار؛كما قال تعالى: **﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾**[المائدة:٧٢]يعني: حرامٌ عليه الجنة، يعني ممنوع من دخول الجنة منعًا لا يمكن أن يكون بعده منع، يعني منعًا نهائيًا.

قال -رَحِمَهُ اللهُ- : **(وصار صاحبه من الخالدين في النار،عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعلَّ الله أن يخلصك من هذه الشبكة)معرفة أيش**؟ يعني معرفة الشرك، تعرف الشرك حتى تحذر منه.

(لعلَّ الله) يعني: لعلَّ الله أن ينجيك من هذا الشرك.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-:**(لعلَّ الله أن يخلِّصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾**[النساء: ٤٨]).

يعني يبيّن -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه الجملَّة أنك إذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة بطلت،وصار صاحبه إن مات عليه من الخالدين في النار، لا بد أن تكون فارًّا هاربًا من هذه الشبكة وتهرب.**وكيف ذلك؟**بأن تتعلَّم، ثم ذكر قواعد -رَحِمَهُ اللهُ- بعدها.

وفي قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** يعني: أن الله -عَزَّ وَجَل- لا يغفر الشرك به.

وقوله:**﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** هنا **﴿أَنْ﴾** وما دخلت عليه في تأويل مصدر، تقديره: إشراكًا، أي: أن الله لا يغفر أن يُشرك به أيًّا كان من الشرك،.. لأن فيها عموم، لا يغفر الله أي شرك؛لأن قوله تعالى: **﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾**:في تأويل مصدر،تقديره:إشراكًا، فهي للعموم.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: ما دون الشرك من المعاصي والذنوب، يعني المعاصي سوى الشرك فهي دون الشرك،كل المعاصي دون الشرك، فهذه إن مات الإنسان وهو مصرّ على كبيرة من الكبائر فهو تحت مشيئة الله؛ إن شاء الله عذَّبه ثم كان مصيره إلى الجنة، وإن شاء عفا عنه ابتداءً فأدخله الجنة تفضُّلًا منه وإكرامًا.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-:**(وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه)**.

أي أن هذه القواعد مذكورة في كتاب الله، والمؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- سيأتيك بقواعد أربع أخذها-رَحِمَهُ اللهُ- من كتاب الله.

المتن

قال -رَحِمَهُ اللهُ-:

القاعدة الأولى: أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- مقِرُّون بأنّ الله –تعالى- هو الخالِق المدبِّر، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١].

الشرح

هذه القاعدة من حيث الإجمال يبين الإمام/ محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ-أن الكفار الذين بُعث فيهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعترفون بتوحيد الربوبية؛ أي أنهم يقولون: أن الله هو الخالق، الرازق، المتصرِّف في الأمور.

وأن هذا الإقرار **لم يجعلهم موحِّدين،والسبب:** لأنهم مشركون في توحيد الألوهية، يعني أنهم لما أشركوا في توحيد الألوهية لم يكونوا بذلك مسلمين؛ بل كانوا مشركين.

ثم استدل المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- بالآية الكريمة التي فيها يبيّن الله -عَزَّ وَجَل- أنهم مقرون بتوحيد الربوبية، ثم لما أخبر الله -عَزَّ وَجَل- أنهم مقرُّون قال في آخر الآية: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني: تعلمون أن الله هو الخالق، الرازق المدبر للأمور ثم لاتتقون الشرك في الألوهية؛ بحيث أن توحِّدوا الله في ألوهيته وتعبدوه وحده ،**هذه هي قاعدة من حيث الإجماع.**

وأما من حيث الشرح: يقول -رَحِمَهُ اللهُ-:**(القاعدة الأولى)** تقدم أن القاعدة ما يبنى عليه غيره.

قال:**(أن تعلم)** أي: توقن علم يقين **(أنّ الكفّار)** يعني: الكفار الذين كانوا في عهد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **(الذين قاتلهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم-)** يعني كانوا في عهد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقاتلهم عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم كفار.

(أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- مقِرُّون) أي: معترفون **(بأنّ الله –تعالى- هو الخالق)** يعني: يعترفون ويقرُّون بأن الله هو الموجد من العدم،**(الخالق) هنا:** الموجد من العدم.

(المدبِّر) يعني: أن تدبير الأمور وتصريف الأحوال يعلمون أن الله -عَزَّ وَجَل- هو فاعل ذلك.

(وأنّ ذلك) يعني: هذا الإقرار**(لم يُدْخِلْهم في الإسلام)** أي: بهذا الإقرار، إقرارهم في أن الله هو الربّ لم يجعلهم مسلمين،**والسبب:** أنهم أشركوا في عبادة الله.

ثم استدل المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- بقوله تعالى :**﴿قُلْ﴾** يا محمد **﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾**من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن وما أشبه ذلك.

﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ﴾ يعني: من الذي له مُلك هذه الأشياء؟

﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ يعني هذه الأسماع والأبصار من الذي يملكها ويتصرف فيها؟

﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ يعني: من يخرج الحي؛ وهو الإنسان من الميت،أي من النطفة،أو المؤمن من الكافر؛ لأن المؤمن حي والكافر ميت وأيضًا يخرج الطير -وهو حي- من الميت وهو البيضة.

﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ يعني: يخرج النطفة من الإنسان، أو يخرج الكافر من المؤمن؛لأن المؤمن حي والكافر ميت وأيضا يخرج البيضة وهي ميتة من الطير وهو حي.

﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ هذا عموم بعد خصوص؛ فهذا عمَّ الذي قبله وغيره.

﴿ فَسَيَقُولُونَ﴾ هذه إجابة الكفار والسين تدل على التحقيق والقرب **﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾** يعني: الله -عَزَّ وَجَل- هو الذي يفعل هذه الأمور.

﴿فَقُلْ﴾ بعد هذا كله تقرُّون أن الله -عَزَّ وَجَل- هذه الأمور يفعلها -عَزَّ وَجَل- **﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾**بحيث توحدون الله في عبادته، توقنون أن الله هو الرب، الخالق، المدبِّر، ثم لا تعبدونه وحده؟!هذا استفهام إنكاري عليه.

هذه القاعدة التي ذكرها المؤلف فيها فوائد، منها:

أن الكفار الذين بُعث فيهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وقاتلهم كانوا يقرُّون بتوحيد الربوبية،ولم يدخلهم ذلك في الإسلام،لماذا؟ لأنهم مشركين في توحيد الألوهية،يعني في توحيد العبادة.

اذا الكفار الذين بُعث فيهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يعتقد أحدهم أن الله يخلق وحده وأن الله هو الذي يملك السمع والبصر، ولكنه مشرك، في عبادة الله فهذا الذي لم يدخلهم في الإسلام.

وهنا مسألة:

هل فيه فرق بين الكافر والمشرك؟

الجواب: كل مشركٍ كافر ولا عكس، وليس كل كافرٍ مشرك؛ وذلك **أن الشرك** هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله،**وأما الكفر** فيكون بالشرك ويكون بالجحد؛ بحيث يجحد ما هو معلوم في الدين بالضرورة، يجحد مثلًا: الصلاة، يقول:"الصلاة غير واجبة"هذا كافر، وليس بمشرك؛لأنه ما يعبد صنم ولكنه كفر، وجحد

والكفر يكون بواحدٍ من أمور أربعة:

يكون بالقول.

- وبالفعل.
- وبالاعتقاد.
- و بالشك

بالقول؛ كأن يستهزئ بالله أو برسوله أو بالقرآن،،أو يدعو غير الله هذا كفر بالقول.

الثاني: بالفعل؛ كأن يسجد لصنم،فهذا يكون كافر.

الثالث: الاعتقاد؛ كأن يعتقد أن غير الله يعلم الغيب.

الرابع، وهو أن الكفر يكون: بالشك؛ كأن يشك هل هناك جنة أو نار؟ يكون متردِّد، يقول أنا متردد: هل فيه جنة أو نار؟ تقول له: اجزم فقول: لا، ما أجزم ولكن عندي تردُّد، احتمال أن فيه واحتمال أن ما فيه، يعني تساوى الطرفان عنده، هذا شك، فيجب على الإنسان أن يكون جازم بأن هناك جنة ونار.

ما هو الفرق بين الاعتقاد والشك؟

الاعتقاد يكون جازم.

والشك يكون متردِّد.

قال:**(الكفار الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**

هنا مسألة، **هل في فرق بين القتل والمقاتلة؟ ما هو الفرق؟**

الجواب أن القتل:المقصود به إزهاق الروح.

والمقاتلة: المقصود به: الإلزام بأمر، وإن أدَّى ذلك إلى القتل.

هذا الفرق بينهما:أن القتل المقصود منه إزهاق الروح؛ بحيث يقصد إزهاق الروح،**وأما المقاتلة** يُقصد به إلزام أمر، يعني يقاتل، يدافع، ولو أدَّى ذلك إلى القتل.

مثال الأول القتل: قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أحاديث أبي هريرة في السنن:- قال:**«أقتُلُوا الأَسْوَدَيْنِ»**

يعني: اقتلوهما قتل.

مثال المقاتلة:مقاتلة الذين يخرجون على الإمام يسمون البغاة،يقاتلون حتى يُلزمون بأمر السمع والطاعة للإمام حتى ولو قُتلوا، ولو أدَّى ذلك للقتلهم.

هذا الفرق بينهما.

قال:(**- مقرُّون بأن الله –تعالى- هو الخالق**

)هنا مسألة:

ما هو الشرك؟

الشرك: هو أن يجعل الإنسان لله ندًّا، يرجوه،ويدعوه، ويخافه، كما يرجو الله ويدعو الله ويخاف الله، وإن شئت أن تقول: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله،هذا الشرك.

واعلم أن الشرك ثلاثة أنواع:

- شركٌ أكبر.
- وشركٌ أصغر.
- وشركٌ خفي.

الأول: الشرك الأكبر، والأكبر سبق تعريفه.

الثاني: الأصغر؛ وهو ما جاء في النصوص تسميته شرك،ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر؛ كقول:"ما شاء الله وشئت" أو الحلف بغير الله.

الآن نقول: الشرك الأصغر هو ما جاء في النصوص، تسميته شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، مثل الحلف بغير الله إن لم يقصد التعظيم كتعظيم الله، ومثل: قول:"ما شاء الله وشئت".

الثالث: الشرك الخفي؛وهو يسير الرياء

ما هو الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر؟

نقول: **الشرك الأكبر** يحبط العمل إذا مات صاحبه عليه، بخلاف **الشرك الأصغر**؛ يحبط العمل الذي خالطه.

الشرك الأكبر إذا مات الإنسان عليه فلا يصلَّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يرث، ولا يورث.

بخلاف الشرك الأصغر؛ فإنه يصلَّى عليه، ويرث ويورث،ويُقبر في مقابر المسلمين.

الشرك الأكبر يخلِّد صاحبه في النار.

الشرك الأكبر يحبط العمل؛ بحيث أن الإنسان إذا مات على الشرك الأكبر يحبط عمله، والأدلة كثيرة.

الشرك الأصغر: يُحبط العمل الذي خالطه.

الشرك الأكبر إذا مات عليه الإنسان خلد في النار.

الشرك الأصغر لا يخلِّد في النار، إذا دخل النار بسبب الشرك الأصغر لا يخلد.

هذه الفروق،وفي فروق كثيرة...

والشرك الخفي:هو يسير الرياء.

وما هو الرياء؟

الرياء: هو أن يتعبَّد الإنسان لله لأجل أن يراه الناس فيُثنى عليه،هذا هو الرياء.

والرياء إذا خالط العبادة فلا تخلو من حالات:

الأول: أن يكون أنشأ العبادة لأجل أن يرائي الناس، فهذا عمله حابط، كما في **[صحيح مسلم]** أن الله -عَزَّ وَجَل- قال في الحديث القدسي:**«أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ»**.

إذا أنشأ الإنسان العبادة -يعني تعبَّد لله- يريد ثناء الناس، فهذا عمله حابط.

الثاني: أن يكون العبادة لله ثم يطرأ عليه الرياء، فهذا إن دافعه ولم يسترسل معه فلا يضره، إذا جاهد نفسه ولم يركن إليه فلا يضره، كما جاء في الصحيح: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: **«إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عن أُمَّتِي ما حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أو تتكلم»**.

وإن استرسل معه وركن إليه فهذا فيه تفصيل:

إن كان العبادة مما ينبني أوّلها على آخرها وآخرها على أوّلها فهي حابطة؛ لأنه لا يمكن أن يصلح الأول ويفسد الآخر.

مثال ذلك: الصلاة؛ صلَّى مخلصًا ، ثم طرأ عليه الرياء في الركعة الثانية أوالثالثة، ثم راءى، نقول: الصلاة كلها فاسدة؛ لأنه لا يمكن أن يكون بعض الصلاة صحيح وبعضها فاسدة. لماذا؟ لأنه ينبني أوَّلها على آخرها، وآخرها على أوَّلها، هذا هو التعليل.

وإن كان العبادة لا ينبني أوَّلها على آخرها ولا آخرها على أوَّلها، فما خالطه الرياء فهو فاسد، وما كان مخلصًا فيه فهو صحيح.

مثال ذلك: رجل تصدَّق بمائة ريال مخلصًا لله،فهذا عمل صحيح، ثمَّ جاءه فقير آخر وعنده رجل فتصدَّق بمائة ريال أخرى رياءً، فنقول: هذا عمل فاسد، وهل تحبط الأول؟ لا؛والعلَّة لأن الأول لا ينبني على الثاني، هذا التفصيل للرياء.

قال:**(وأن ذلك لن يدخلهم في الإسلام)**

هنا مسألة (الإسلام) له معنًى عام ومعنًى خاص.

الإسلام بمعناه العام:هو الاستسلام لله بفعل أوامره وجتناب نواهيه في كل زمانٍ ومكانٍ كانت الشريعة فيه قائمة، وعلى هذا المعنى أتباع الأنبياء في وقت الأنبياء الذين آمنوا بهم مسلمون،**والدليل على ذلك:**

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران:٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس:٨٤] هذا بمعناه العام.

وأما المعنى الخاص للإسلام: فهو ما بُعث به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وعلى هذا المعنى كل من لم يؤمن بما جاء به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فليس بمسلم،**والدليل على ذلك:**

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥].

وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-:«والَّذي نفسي بيده لَا يَسْمَعُ بِي مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لا يُؤْمِنْ بِمَا جِئت بِهِ إِلَّا كَانَ من أهل النَّار»**[رواه مسلم]** من حديث أبي هريرة.

<u>والإسلام ينقسم إلى قسمين:</u>

- إسلامٌ كوني.
- وإسلامٌ شرعيّ.

❖ **الإسلام الكوني:** هو استسلام المخلوقات لأمر الله الكوني.

بحيث لا يخرج عن قدرة الله أحد، فكل الخلق في هذا المعنى مستسلمون، كل الخلق مستسلمون لأمر الله الكوني؛ بحيث لا يستطيع أحد أن يرد ما أراد الله -عَزَّ وَجَل- كونًا أن يقع.

لو أراد الله -عَزَّ وَجَل- مثلًا يعذِّب قومًا، هل يستطيع أحد أن يردّ الله؟

الجواب: لا، لا أحد يستطيع أن يرد الله عَزَّ وَجَل.

❖ **الثاني:** الاستسلام الشرعي.

وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، هذا الاستسلام الشرعي

نعود ونقول: هذه القاعدة ذكرها الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-وذكر فيها: أن التوحيد الذي آمن به الكفَّار هو توحيد الربوبية، وأن التوحيد الذي لم يؤمن به توحيد الألوهية.

واعلم أن التوحيد على أقسامٍ ثلاثة:

- توحيد الربوبيَّة.
- وتوحيد الألوهيَّة.
- وتوحيد الأسماء والصفات.

توحيد الربوبية: هو إفراد الله -عَزَّ وَجَل- بأفعاله، ومن ذلك: الخلق، والرزق، والتدبير، والإحياء والإماتة.

الثاني: توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بالعبادة، مثل: الدعاء، والنداء،والصلاة، والحج والصوم،هذه عبادات يجب أن تفرد الله -عَزَّ وَجَل- بها.

الثالث: توحيد الأسماءوالصفات: بأن تُثبت ما أثبته لله -عَزَّ وَجَل- لنفسه أو أثبته له رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

هذه أنواع التوحيد الثلاثة.

إذن.. نقول: هذه القاعدة مهمة، وهو أن تعتقد وتوقن بقلبك أن الكفار الذين قاتلهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أنهم كانوا يوحدُّون الله -عَزَّ وَجَل- في ربوبيته، ولكنهم يشركون في الألوهية كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[يوسف:١٠٦] قال المفسِّرون: أنك لو سألت أحدهم: من خلقك؟ من يرزقك؟ من يحييك؟ من يميتك؟ يقول:"الله" ثم إنه يشرك في عبادة الله، يعني ما يؤمن أكثرهم إلَّا وهم مشركون،يعني مشركون في عبادة الله، هذا والله أعلم.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: **(القاعدة الثانية)**

المتن

القاعدة الثانية: أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة، فدليل القُربة قوله –تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣].

ودليل الشفاعة قوله –تعالى-: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[يونس:١٨]، والشفاعة شفاعتان: شفاعةٌ منفيّة، وشفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفيّة: ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، والدليل: قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤] .

والشفاعة المثبَتة: هي التي تُطلب من الله، والشّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضيَ اللهُ قوله وعمله بعد الإذن كما قال –تعالى-: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥].

الشرح

هذه القاعدة من حيث الإجمال يبيّن الإمام -رَحِمَهُ اللهُ- - أن المشركين الذين يدعون غير الله أنهم يقولون: ما دعوْنا هذه الآلهة الباطلة،الآلهة على زعمهم وهي باطلة، هذه الآلهة الباطلة التي يزعمون أنها آلهة يقولون:**ما دعوناهم إلّا لأمرين:**

- طلب القربة من الله.
- **الثاني**: الشفاعة؛ أن تشفع لهم عند الله.

هذا سببين، ذكرها -رَحِمَهُ اللهُ- وذكر الدليل من القرآن على القربة والدليل على الشفاعة، وذكر -رَحِمَهُ اللهُ- أن **الشفاعة نوعان:**

- شفاعةٌمثبتة.
- وشفاعةٌ منفية.

الشفاعة المثبتة لها شروط،**والشفاعة المنفية** هي ما نفاها القرآن، هذه القاعدة من حيث الإجمال.

أما من حيث الشرح يقول -رَحِمَهُ اللهُ-:**(القاعدة الثانية: أنهم يقولون)**الضمير في قوله **(يقولون)** أي: المشركون. **(يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم)**،**(ما دعوناهم)** دعاء مسألة؛ لأن هنا قال:**(ما دعوناهم وتوجهنا إليهم)** وأيضًا يدخل فيها دعاء العبادة؛ لأنهم يتعبدون للأصنام.

قال: **(ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلّا)**هذا استثناء **(إلّا لطلب القربة)** يعني: هم دعوا آلهتهم التي يزعمون -وهي باطلة- دعوها لطلب القربة من الله،يعني ما دعوا هذه الآلهة على أنها تخلق أو ترزق أو دعوها دعوة استقلال، لا؛ ولكنهم دعوا هذه المعبودات لتقرّبهم إلى الله؛ أي: لتكون دعوتهم لها قربة إلى الله.

والثاني: الشفاعة؛ أي: أن هذه الآلهة على زعمهم تشفع لهم عند الله.

ثم ذكر -رَحِمَهُ اللهُ- الأدلة:أما الدليل على**(القُربة: قوله –تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾[الزمر:٣])**.

قوله:﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ يعني: المشركون، اتخذوا له معبودات من دون الله وقوله:﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أي: يتولَّونهم ويحبُّونهم ويعبدونهم من دون الله.

يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أي: ما نتعبَّد لهم، يعني لهذه الآلة التي يزعمون،﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا﴾ هذا استثناء، يعني هذا الذي يعبدون الآلهة لأجله.

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ليكون عبادتنا لهم سبب في قربنا من الله.

﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ قوله:﴿ زُلْفَى﴾ أي: قُربى، يعني من الازدلاف، وهو الاقتراب، يعني: يقولون عبادتنا لهم سبب في تقريبنا من الله على زعمهم.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: يحكم بين الموحدين والمشركين﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ يعني لا يوفِّق ولا يرشد﴿مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾، ﴿كَاذِبٌ﴾في زعمه أن هذه المعبودات تقرِّب إلى الله، أن هذه المعبود الذي يعبدها وهي معبودات باطلة زعم أنها تقرِّب إلى الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾،﴿كَفَّارٌ﴾ هنا صيغة مبالغة،يعني بلغ الغاية في الكفر.

ثم -رَحِمَهُ الله- قال: **(والدليل على الشفاعة: قوله –تعالى-: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾)** أي:ويتذلَّلون حبًّا وتعظيما لغير الله، قال تعالى:﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾يعني: سوى الله، غير الله.

﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ يعني: ما لا يضرُّهم إن لم يعبدوه، لو تركوا عبادته ما ضرَّهم؛ لأنه لا ينفع ولا يضر.

﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ لو توجَّهوا إليه وعبدوه.

﴿وَيَقُولُونَ﴾هذا قول المشركين،﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ﴾ يعني: هؤلاء المعبودات هم﴿شُفَعَاؤُنَا﴾ يعني: يشفعوا لنا عند الله﴿شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

وفي إكمال الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:١٨] يعني: أتخبرون الله بما لا يعلم في السموات والأرض؟! ثم نزَّه نفسه -عَزَّ وَجَل- عن الشرك قال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾.

لماذا قال:﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾؟

لأن الشرك فيه تنقُّص لله -عَزَّ وَجَل-؛ لذلك إذا ذكر الله -عَزَّ وَجَل- فعل المشركين أنهم أشركوه به سبَّح نفسه، قال:﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾ يعني: تنزَّه الله أن يكون له شريك وأن يكون له وليٌّ في الملك تعالى وتقدس.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾يعني: عمَّا يسوُّون به الله، سبحانه تنزَّه عن ذلك؛أن يكون له شريك في عبادته أو في ملكه.

ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: **(والشفاعة شفاعتان)**.

يتلخص من ما فات أنهم**ماذا يقولون المشركون**؟ يقولون:**ما توجُّهنا إلى هذه الآلهة بالعبادة سواء:**

دعاء مسألة؛ كأن يقول:" افعل كذا وافعل كذا" للصنم.

أو **دعاء عبادة**؛ كأن يسجد للصنم.

ما هو الباعث له على ذلك؟

الباعث له على ذلك: أنه يريد بهذه العبادة لهذا الصنم أن يقرِّبه إلى الله على زعمه الكاذب؛ لذلك كذَّبهم الله -عَزَّ وَجَل- في الآية.

والثاني وهذا أمر آخر: قالوا: أنها تشفع لنا عند الله؛ أي: أنها إذا توجَّهنا إليها بالعبادة وتقرَّبنا إليها صار ذلك سبب في أن تشفع لنا عند الله.

ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ-:**(والشفاعة شفاعتان)** أي أن الشفاعة نوعان:

- **(شفاعةٌ منفيّة)**.
- **(وشفاعة مثبَتة)**.

أولًا: قبل هذا، الشفاعة:

ما هي الشفاعة؟

الشفاعة في اللغة: هي ضد الوتر؛ لأن الشافع بطلبه صار مع المشفوع له، المطلوب له شفعًا؛ بحيث أن الشافع لما شفع للمشفوع له صار بذلك شفعًا.

نقول:**الشفاعة في اللغة**: هي ضد الوتر؛ لأن الوتر واحد، والشفع اثنان، الشفع الزوج، اثنان؛لأن الشافع شفع لغيره،فصار مع الثاني شفعًا اثنين؛ ضمَّ طلبه إلى طلب الثاني فصار اثنيين.

وأما الشفاعة شرعًا: التوسُّط للغير في جلب نفعٍ أو دفع مضرة،هذا تعريفها شرعًا.

والشفاعة-كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ- **نوعان:**

- شفاعةٌ منفية.
- وشفاعةٌمثبتة.

الشفاعة المنفية ما هو ضابطها؟

هي التي تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله كما بيَّن الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-، هذه منفية.

<u>والشفاعة التي جاء في القرآن نفيها</u>:

- هي ما كان فيها من شرك.وذلك أن المشركين عبدوا هذه الأله الباطلة التي يزعمون أنها تشفع لهم عند الله فوقعو في الشرك لأنهم عبدوها وعظموها ووقع في قلوبهم من التعظيم والتذلل وتعبد لها ما لا يصلح الا لله فهم لم يجعلوها وسائط بل جعلوها شركاء لله تعالى في عبادته فهم أشركو مع الله غيره
- والثاني: ما ختل فيها أحد الشروط؛ بحيث أن يُشفع لمشرك، فهذه الشفاعة منفية أيضا في القرآن.

كما قال تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾[البقرة:٢٥٤] هذه الشفاعة المنفيَّة.

والشفاعة الثانية: هي المثبتة.

والشفاعة المثبتة لها شروط:

الشرط الأول: إذن الله -عَزَّ وَجَل- للشافع أن يشفع،**وهو يشمل:**

- الإذن الكوني.
- والإذن الشرعي.

بحيث أن الله -عَزَّ وَجَل- يأذن كونًا أن هذا العبد يشفع، ويأذن شرعًا بحيث يرضى ذلك.

الشرط الثاني: رضى الله -عَزَّ وَجَل- عن المشفوع له؛ بحيث يكون من أهل التوحيد والإخلاص.

هذه شروط الشفاعة.

والدليل على الأول إذن الله -عَزَّ وَجَل- للشافع أن يشفع: قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥].

ودليل الثاني رضى الله -عَزَّ وَجَل- عن المشفوع له: قوله تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء:٢٨]

والجامع للشرطين: قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم:٢٦]هذه الآية الكريمة جمعت الشرطين.

ثم اعلم.. أن الشفاعة مُلك لله تعالى ،والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤]واللام هنا في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ لام الملك كما قال العلماء؛ أي أن الشفاعة ملك لله؛ فهو الذي -عَزَّ وَجَل- إذا أذِنَ في الشفاعة ورضي للمشفوع له، وقعت الشفاعة لا بد من هذين الشرطين في الشفاعة المثبتة.

وأيضًا من مسائل الشفاعة:أن الشفاعة أقسام، لكن لعلَّنا نذكرها في آخر القاعدة إن شاء الله.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: **(فالشفاعة المنفيّة: ما كانت تُطلب من غير الله)** كأن يطلب من صاحب قبر، **صاحب القبر ما يُطلب منه**، لماذا؟**لأسباب:**

منها: لأنه انقطع عمله.

ومنها:أنه لا يملك؛ لأن الشفاعة مُلك لمن؟ لله ! فلا تُطلب إلَّا من الله؛ ولأن الشفاعة أيضًا نوع من الدعاء، فإذا توجَّه لصاحب القبر كان في ذلك قد دعا صاحب القبر وتوجه اليه ؛ لذلك لا يدعى صاحب القبر، يعني لا يُطلب الشفاعة من صاحب القبر.

قال:**(فالشفاعة المنفيّة: ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله)**.

ثم ذكر الدليل -رَحِمَهُ اللهُ- قال:**(والدليل: قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾)** يعني: يا أيها الذين صدَّقوا بقلوبهم وأقرُّوا بألسنتهم وعملوا بجوارحهم، هؤلاء المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا﴾﴿أَنفِقُوا﴾ يعني: قدِّموا لأنفسكم مما رزقكم الله،**﴿أَنفِقُوا﴾** يعني أخرجوا مما رزقكم الله إيَّاه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ يعني: في هذا اليوم**﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾** ليس فيه بيع ولا فداء .

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ يعني: ليس فيه وليّ محب، والخلَّة هي أعلى درجات المحبَّة.

﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ فهنا الشفاعة منفية،**﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾**يعني منفية هنا.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾﴿وَالْكَافِرُونَ﴾يعني الذين كفروا بالله هم الذين وصلوا الغاية في الظلم؛ لأن الظلم هنا ظلم الشرك؛ لأن الشرك يطلق عليه ظلم، الكافرون هم الظالمون الذين بلغوا الغاية في الظلم.

ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ-:**(والشفاعة المثبتة: هي التي تُطلب من الله)**.

(والشّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضيَ اللهُ قوله وعمله بعد الإذن) كما ذكرناه فيما سبق.

وقال الدليل: **(﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥])**.

ثم ذكر -رَحِمَهُ اللهُ- هذه القاعدة، نقول: الآن نذكر **مسائل القاعدة:**

المسألة الأولى: أن المشركون عبدوا غير الله،ولهم في ذلك الفعل أنهم أرادوا أمرين:

- **الأمر الأول:** القربة من الله.
- **الأمر الثاني:** الشفاعة عند الله.

ومن المسائل:

أن الشفاعة منها: منفية، وذكرناه.

ومنها: مثبتة.

نقول: **الشفاعة المثبتة هي مابني على شرطين:**

الشرط الأول: الإذن للشافع أن يشفع.

الثاني: الرضا عن المشفوع له.

والشفاعة المثبتة ستة أنواع:

ثلاثة منها خاصة، وثلاثة منها عامة.

أما الشفاعة الخاصة: فهي خاصة بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-،**وهي ثلاثة:**

✓ **الأولى:** شفاعته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في أهل الموقف أن يُقضى بينهم.

والدليل على ذلك: ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان في دعوة دُعي إليها، فلما قُدِّم له الطعام ورُفعت له الذراع فنهس منها -عليه الصلاة والسلام- نهسة وكانت تعجبه الذراع ، فقال:«أنَا سَيِّد وَلَد آدَم، أَتَدرُونَ بماذا ؟».

ثم ذكر الحديث الطويل الذي فيه الشفاعة، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-:«أن الناس يعرقون فيبلغون من الهمّ والكرب ما لا يطيقون،ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهم لِبَعْضٍ: أَلَا ترون مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ من الهم والغم ؟».

قال: «فيأتون آدم، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته،اشْفَعْ لَنَا عند الله، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟

فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وأني قد عصيت بأكل من الشجرة اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ رسُولِ أرسله الله، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ.

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِني قد دَعْوَت عَلَى قَوْمِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي،نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ خليل الرحمن،اشْفَعْ لَنَا عند رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟

فَيَقُولُ: إِني قد كذبت ثلاث كذبات، وإِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام.

فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ كَلِم الرحمن،اصطَفَاكَ اللَّهُ بِكلامه عَلَى النَّاسِ، ألا ترى ما قد بلغنا؟ اشْفَعْ لَنَا عند رَبِّكَ.

فَيَقُولُ: إِنِّي قد قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا وإِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى.

فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ كَلِمَة الله وَرُوحٌ مِنْهُ،وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا عند رَبِّكَ.

فلم يذكر ذنبًا، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَيَأْتُونِ محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قد غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ما تقدَّم من ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ».فيقول:«أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»

فيقول: «ثُمَّ آتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَسجد إلى رَبِّي،فَيَفْتَحُ ربِّي عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ما لَمْ يَفْتَحْ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ».

فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ الله -عَزَّ وَجَل-: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ الْبَابِ» كذا وكذا « مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ،وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي باقي الْأَبْوَابِ».

هذه الشفاعة الكبرى، هذه هي الشفاعة العظمى التي تكون بالموقف، وهذه خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

✓ **الثاني:** شفاعته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أهل الجنة أن يدخلوها.

والدليل على ذلك: ما جاء في **[صحيح مسلم]** من حديث أنس: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:«آتي ثم أقرقع بابَ الجَنَّةِ، فيقولُ خازنُ الجنة رضوان: مَن؟» فيقُولُ: «مُحَمَّدٌ، فيقولُ: بكَ أُمِرْتُ ألَّا أفْتَحَ لأَحَدٍ قبلك».

وجاء في حديث أبي سعيد في مسلم: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:«أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً وأوَّل من يَسْتَفتِح بَاب الجَنَّة».

✓ **الشفاعة الثالثة:** شفاعته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعمه أبي طالب.

وأبي طالب مات مشرك ولكنه خُصَّ بهذه الشفاعة لأسباب، وهي خاصة بأبي طالب دون غيره من المشركين، وهي شفاعة خاصة؛لذلك جاء في الصحيح عن العباس أنه قال للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:"يا رسول الله، إن عمَّك كان يحوطك فهل أغنيت عنه شيء؟" فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:«إِنَّهُ فِي ضَحْضَاحٍ من النَّار،ولَولَا أنا لَكَانَ في الدرك الأسفل من النَّار».

وجاء عن ابن عباس في الصحيح: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:«أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا رَجُلٌ يُجعل في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، لا يرى أنَّ أحدًا من أهل النَّار أعظم منه عذابًا، ». وهو أبي طالب والشفاعة لأبي طالب في تخفيف العذاب، وليس أنه يُخرج من النار، لا، ولكن في تخفيف العذاب عنه.

هذه الثلاث خاصة بنبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-،
وأما الشفاعة العامة فهي للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وللأنبياء والملائكة والصالحون وغير ذلك،
منها:الشفاعة في من دخل النار أن يخرج منها.
كما جاء في الصحيح في حديث جابر: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال:«يخرُجُ نَاسٌ من النَّار بالشفاعة» الحديث في الصحيح.
وجاء في الحديث الآخر صحَّحه شيخ الإسلام: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال:«اختبأت شفاعتي لأهل الكَبَائِر من أمَّتي» هذا الحديث.
وهذه الشفاعة عامة، ويشفع الملائكة كما جاء في الصحيح عن أبي سعيد: أن الله -عَزَّ وَجَل- قال (شفع الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنين ، ولم يبقَ إلَّا أرحم الراحمين، فيخرج الله -عَزَّ وَجَل- من النار من لم يعمل خيرًا قط،.)
وجاء في حديث أبي هريرة: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال:«مَن مَاتَ لَهُ» كذا وكذا «كانوا له شفعاء» والأدلة كثيرة في هذه الشفاعة.
الشفاعة الثانية فيمن استحق النَّار ألَّا يدخلها: وهذه قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-:"لم أجد عليها دليل"، ولكن العلماء -رَحِمَهُم اللهُ- أثبتوها، وقد يُستأنس بحديث ابن عباس: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال:«مَا مِن عَبْدٍمُسْلِم يَمُوت فَيَقُوم على جَنَازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا إلَّا شفَّعهم الله فيه».
الشفاعة السادسة: الشفاعة فيمن دخل الجنة أن تُرفع درجته، كما جاء في **[صحيح مسلم]** من حديث أم سلمة قالت:"لما توفي أبا سلمة دخل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وقد أشخص أبا سلمة بصره، فأغمض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- عيني أبا سلمة، وقال:«إنَّ الروح إذَا خَرجَت تَبِعَها البَصَر»ثم قال -عليه الصلاة والسلام-:«اللَّهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في الغابرين واغفر لنا وله»"
قال:«وارفع درجته في المهديين» هذه ستة أنواع من الشفاعة.
إذن..**الشفاعة المثبتة**: هي ما كان لها شرطان
ومن المسائل:أنَّ من الحِكَمه في الشفاعة: إرادة رحمة المشفوع له وإكرام الشافع.
وأيضًا من المسائل: أن الشفاعة خاصة لأهل التوحيد؛ لأن المشركين لا تنفعهم الشفاعة، **والدليل على ذلك**: قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدثر:٤٨].
وأما: أبا طالب فهذه شفاعة خاصة؛ لأنه كان يحوط النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وكان ينافح عن الدين ولكنه مات مشركًا؛لذلك خُفِّف عنه بسبب شفاعة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- .
ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ-:(**قوله تعالى:** ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥])﴿مَنْ﴾ هنا استفهامية، أي لا أحد يشفع، هي استفهام فيها نفي، يعني لا أحد يشفع عند الله إلَّا أن يأذن الله عَزَّ وَجَل.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [القاعدة الثالثة].

المتن

[الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾[الأنفال:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾[فصلت:٣٧].

وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ؛ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[آل عمران:٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[الإسراء:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ؛ قَولُهُ -تَعَالَى-: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾[النجم:١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: "يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ"].

هذه القاعدة: من حيث الإجماع: يُبيّن الإمام محمد عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ-، أن المشركين الذين بُعث فيهم النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كانوا متفرقين في العبادات؛أي أنهم:(**مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ**)، ومنهم من يعبد (**الأَحْجَارَ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ**) النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأن العبادة يجب أن تكون لله وحده. يعني يجب أن يُخلص الله -عَزَّ وَجلّ-بالعبادة، فمن أشرك بالله غيره، فقد وقع في الشرك؛ سواء عبد مع الله ملك، أو نبي، أو حجر، أو شجر، أو غير ذلك.

ثم ذكر الأدلة على ذلك -رَحِمَهُ اللهُ-، هذه القاعدة من حيث الإجماع.

●**وأما من حيث الشرح:**

يقول -رَحِمَهُ اللهُ-: (**الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ**).

قوله: ظهر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-(**عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِين**)، يعني: أشتات،فريق يعبد كذا، وفريق يعبد كذا، وفريق يعبد كذا.

(**فِي عِبَادَاتِهِمْ**)؛ أي: فيما يصرفون إليه العبادة،و**"العبادة"**تقدم أنها التذلل والخضوع، حُبًّا وتعظيمًا،يعني يعبدون غير الله.

وذكر -رَحِمَهُ اللهُ-:أن

●(**مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ**)؛ أي منهم من صرف العبادة للملائكة.

●(**وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ**)، يعني صرف العبادة للأنبياء،(**والصالحين**)، يعني أيضًامنهم من صرف العبادة للصالحين.

●(**وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ**)؛ أي منهم أيضًا من صرف عبادته للأشجار،(**وَالأَحْجَارَ**)، قال:(**الأَحْجَار وَالأَشْجَار**)، يعني صرف عبادته للأحجار والأشجار.

● قال: (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**)؛ أي منهم من صرف عبادته وتعبد للشمس والقمر.

والنتيجة:(**قَاتَلَهُمْ النَّبِي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**) جميعًا (**وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ**).

والعِلّة: لأنهم جميعًا وقعوا في الشرك، وصرفوا العبادة لغير الله؛ لأن الواجب أن يخلص الإنسان لله العبادة، فمن عبد الله وعبد غيره، فقد وقع في الشرك، سواء عبد ملك أو نبي أو ولي أو غير ذلك.

الآن الشرك، ما هو "الشرك"؟

"الشرك" لغةٌ النصيب فمن من جعل نصيب لغير الله من العبادة، فقد وقع في الشرك، لو كان يعبد الله الليل والنهار ولكن وقع في شرك ، فقد حبط عمله؛ لأن من عبد غير الله ولم يعبد الله نهائيًا، فهذا أخلص عبادته لغير لله وصارت عبادته لهذا الذي اتخذه معبود،وصارت خالصة له فهذا لا يسمى مشرك، ولكن يُسمى ملحد كافر؛ لأنه صرف العبادة كُلِّيًا لغير الله، ومن عبد الله وعبد معه غيره، فقد وقع في الشرك.

قال:(**وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾**)،أي قاتلوا المشركين(**﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾**)،أي حتى لا يكون شرك، (**﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾**[الأنفال:٣٩]) يعني العبادة لله وحده.

ومعنى الآية: أن الله -عَزَّ وَجلّ- أمر بقتال المشركين؛ حتى لا يكون شرك،وحتى يكون الدين خالص لله وحده، يعني العبادة لله وحده.

(**وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ**)، أي الدليل على أن من المشركين الذين بُعث بهم النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يعبد الشمس والقمر (**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾**)، يعني من آيات الله، هنا (**﴿مِنْ﴾**) للتبعيض؛ لأن آية الله -عَزَّ وَجلّ-كثيرة .

(**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾**)، يعني من آيات الله -عَزَّ وَجلّ-، والبراهين الدالة على قدرته-عَزَّ وَجلّ-(**﴿اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾**)،الليل معروف، والنهار معروف (**﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾**)أيضًا الشمس والقمر معروفة، (**﴿لا تَسْجُدُوا﴾**)هذا نهي.

(**﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾**)يعني هذه من آيات الله، وإن بلغت ما بلغت فلا تسجد لها؛ لأن العبادة حق لله لا يجوز صرفه لغيره، وهذا دليل على أن من الناس من عبد الشمس والقمر؛لأن الله -عَزَّ وَجلّ- نهى عن السجود لها، قال:(**﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت:٣٧]**).

وجاء في صحيح مسلم، من حديث عمرو بن عَبَسَة:"أَنَّ النَّبِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَهَى عَنِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَقَال:**«فإذا طَلَعت الشَّمس فَأَمْسِك عَنِ الصَّلَاة؛ فإنَّهَا حِينَئِذٍتَخْرُج بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَان، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّار»**".

قال -رَحِمَهُ اللهُ-:(**وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ؛ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ﴾**)، يعني الدليل على النهي عن عبادة الملائكة.

قال: والدليل على الملائكة؛(**قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ ﴾**)، أي النبي (**﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[آل عمران:٨٠]**).

يعني معنى الآية: أن النبي الذي بعثه الله -عَزَّ وَجلّ- وأرسله برسالة، لا يأمر الناس (**﴿أَنْ تَتَّخِذُوا﴾**) أن يجعلوا،(**﴿الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾**)،أي معبودين من دون الله.

يعني ما كان لنبي أن يكون هذا حاله، أن يبعثه الله -عَزَّ وَجلّ- برسالة ، ثم يأمر الناس أن يتخذوا (**﴿الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾**) من دون الله، لا، كل نبي يأمر بعبادة الله -عَزَّ وَجلّ- وحده.

كل الأنبياء -عَلَيْهِم الصَّلاةِ وَالسَّلام- الذين بعثهم الله، والمرسلين كلهم أمروا بعبادة الله وحده، وإخلاص العبادة،والأدلة كثيرة من القرآن قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾**[النحل:٣٦]، والآيات كثيرة.

وقال: (**وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ**)، يعني دليل أن الأنبياء أن منهم من عبد (**قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ﴾**)، (**﴿وَإِذْ﴾**) هذا يقوله الله -عَزَّ وَجلّ- يوم القيامة لعيسى.

(**﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ﴾**) هنا استفهام.

(﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[المائدة:١١٦])، يعني معبودين (﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾)،والله -عَزَّ وَجلّ- يعلم أن عيسى لم يقل ذلك، ولكن هذا لتوبيخ من فعل ذلك، لتوبيخ واستعظام ما قال أولئك، فما هو رد عيسى -عَلَيْهِ السَّلام-؟

قال الله -تَعَالَى-: (﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾) يعني عيسى -عَلَيْهِ السَّلام-.قال

(﴿سُبْحَانَكَ﴾) تنزيهًا لك أن أقولها، (﴿مَا يَكُونُ﴾)، يعني ما ينبغي ولا يصح.

(﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾)، لماذا؟ لأن العبادة حق لله، فلا يجوز أن يُنازع الله في حقه، العبادة حق لله.

(﴿إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾)؛ لأن الله -عَزَّ وَجلّ-"يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون"، لو قال عيسى قال ذلك لعلم الله -عَزَّ وَجلّ-.

فيقول: ولكن (﴿إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾)، أي أن الله -عَزَّ وَجلّ- يعلم ما في نفس عيسى، (﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾)، أي لا أعلم يا ربي ما في ذاتك، فأنت (﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾)، وأنا (﴿لا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾).

وفي الأية استفهام وتوبيخ لمن قال ذلك؛ لأن الله -عَزَّ وَجلّ- يعلم أنه لم يقل، عيسى ذلك ولكن هذا استفهام وتوبيخ، وحتى يقول عيسى بنفسه:"إني ما قلت هذا".

(﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦]).

(﴿الْغُيُوبِ﴾): جمع غيب، وهو كل ما غاب عن المشاهدة،فالله -عَزَّ وَجلّ- يعلم الغيوب، يعلم غيب السماوات والأرض، ولايغيب عنه شيء تبارك وتعالى.

(وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ -تَعَالَى-)، يعني دليل الصالحين (﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾).

قوله: (﴿أُولَئِكَ﴾)، المشار إليهم في الضمير هنا هم الصالحون.

(﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾)،يعني يدعوهم المشركون.

(﴿يَبْتَغُونَ﴾)، يعني (الَّذِينَ يَدْعُونَ)من دون الله، ما حالهم؟ (﴿يَبْتَغُونَ﴾).

(﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾)، يعني (﴿يَبْتَغُونَ﴾) يطلبون (﴿إِلَى رَبِّهِمُ﴾)القُربة؛ لأن (﴿الْوَسِيلَةَ﴾) هنا كل ما يقرب إلى الله، فهو وسيلة إلى الله.

(﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾)،يعني يتنافسون، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[البقرة:١٤٨]، يعني يعملون الأعمال الصالحة التي تكون سبب في قربهم من الله تعالى.

(﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾) يعني يرجون رحمة الله، (﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[الإسراء:٥٧])هذا حال المدعوين من دون الله.

هؤلاء الصالحون الذين دعوا من دون الله، ما هو حالهم؟ حالهم (﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾)، يعني يتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة، (﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾)، فهؤلاء عبيد ، الذي يدعوهم المشركون من دون الله عبيد، يخافون الله، ويرجون الله، ويتقربون إلى الله،﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥].

(وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ؛ قَولُهُ -تَعَالَى-: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾[النجم:١٩-٢٠]).

(وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ؛ قَولُهُ -تَعَالَى-: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾[النجم:١٩])يعني أخبروني ما حال هذه الأصنام.

(﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾):

(﴿اللَّاتَ﴾): قُرئ بالتشديد، وقرئ بدون تشديد، يعني (اللَاتَ).

قُرئ بالتشديد، وبدون تشديد:

الأول: بالتشديد (اللَّاتَّ) بالتشديد، من (لتَّ، يلوت)، رجل صالح كان يدَّعون فيه الصلاح، كان يطعم الحُجَّاج، فمات،فعكفوا على قبره وعبده من دون الله.

الثاني: (اللاتَ) بالتخفيف، بتخفيف التاء، فهو اسم صنم، وهو عبارة عن صخرة كان يعبدونه من دون الله.

(﴿وَالْعُزَّى﴾): شجرة من سلب، كانت تعبد أيضًا من دون الله.

قال -تَعَالَى-:(﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾[النجم:٢٠])، يعني الوضيعة، الحقيرة، قوله (﴿الأُخْرَى﴾)، يعني المتأخرة الوضيعة.

قوله -تَعَالَى-: (﴿وَمَنَاةَ﴾)،"مناة" هي أيضًا صنم كان يعبد من دون الله،وهو عبارة عن صخرة أيضًا، وسُمِّيَ (مناة)قيل: لكثرة ما يهراق عنده من الدماء.

ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ -: (وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى حُنَيْنٍ)، (حُنَيْن)هي غزوة حُنين، بعد ما فتح الله تعالى مكة للمؤمنين خرج النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- معه الصحابة.

قالوا: (وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ)، يعني قريبي عهد بكفر؛ لأنه لَمَّا فتح الله - مكة، دخل الناس في دين الله، فمن دخل مع النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خرج معه إلى غزوة حُنين.

قال: (وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَة يَعْكُفُون عِنْدَهَا) **"العكوف"**: هو المُكث المقترن بالتعظيم، يعني (يَعْكُفُون) عند هذه السدرة.

(وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ)، (يُنَوِّطُونَ)؛ أي: يعلقون ولماذا يعلقون؟يُعلِّقون للتبرك بها؛ لطلب البركة منها، يطلبون البركة منها.

(يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاط)، سُميت (ذَاتُ أَنْوَاط) لكثرة ما يُناط بها من الأسلحة، يطلبون البركة منها.

قال الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (فَمَرَرْنَا بِسِدْرَة)، بسدرة أخرى، (فَقُلْنَا: "يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاط")، يعني اجعل لنا سِدرة نُعلق عليه كما لهؤلاء ،قال النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :

«اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَن، قُلْتُم وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ بنو اسرائل لِمُوسَى:﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف:١٣٨]».

هذه قاعدة ذكرها الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- يُبيّن فيها كما تقدم، أن المشركين الذين بُعث فيهم النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كانت متفرقة عبادتهم، والمقصود من ذلك أن من أشرك مع الله غيره، فقد وقع في الشرك.

أو بعبارة أخرى: نقول: من تعبد لله، وصرف نوع من أنواع العبادة لغيره، وهذا الغير بصرف النظر عنه، سواء كان ملك، أو نبي، أو صالح، أو شجر، أو حجر، أو شمس، أو قمر، أو غير ذلك؛ فإنه قد وقع في الشرك.

لماذا؟

لأن العبادة حقٌّ لله، قال -تَعَالَى-:﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر:٣]، وقال -تَعَالَى-:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥].

وقال -تَعَالَى-:﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨]،﴿أَحَدًا﴾ هنا نكرة في سياق النهي، فتفيد العموم؛ أي:﴿لا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ كائنًا ما كان، هذا الشيء كائنًا ما كان.

نذكر الفوائد، ونذكر مسائل في هذه القاعدة، مسائل.

مسائل من القاعدة:

من المسائل التي نذكرها في هذه القاعدة،**من المسائل:**

■**أولًا:أن آيات الله -عَزَّ وَجلّ- نوعان:**

- آياتٌ كونية.
- وآياتٌ شرعية.

الآيات الكونية، مثل: الليل والنهار، والشمس والقمر، والمخلوقات جميعًا.

وأما الآيات الشرعية، فهي: القرآن، والوحي.

الآيات الشرعية هو الوحي، ما أوحى الله به لأنبيائه، هذه هي الآيات الشرعية.

■**ثانيًا: ومن المسائل**: أن الرب يُطلق على المعبود.

وهذه كما قال الإمام محمد عبد الوهاب: أنها من الألفاظ التي إذا افترقت اجتمعت، وإذا اجتمعت افترقت، فإذا افترقت يُقال: الرب هو المعبود، والإله هو المعبود، **وهل فيه دليل على أن الرب هوالمعبود؟**

الجواب: نعم، جاء في الحديث الصحيح:«أَنَّ الإِنسَان إِذَا قُبِر يَأْتِيه مَلَكَان، فَيَقُولان لَهُ: مَنْ رَبُّك؟»؛ أي من معبودك الذي تعبد، «مَنْ رَبُّك؟»يعني المعبود.

■**ثالثًا:ومن المسائل:**الوسيلة.

ما هي الوسيلة؟ هل هي التي يدعيها الكاذبون: أنه يأتي إلى القبر فيتوسل به ؟ نقول هذا شرك وليس بوسيلة.

نقول: هذا الذي تفعلون : شرك، وإن سميته وسيلة.

ووجه ذلك: أنه صرف العبادة لهذا المقبور، فهو إذا أتى إلى صاحب القبر، ما يكون في قلبه ؟ يكون في قلبه أنه يعتقد في المقبور النفع، وأنه يدفع عنه ضر ويكون في قلبه من التعظيم،والخضوع لهذا المقبور ما لاصلح الا لله ، أي أنه يكون في قلبه للمقبور من التعظيم والرجاء والخشية، وهذه كلها عبادات، فإذا صرفها لهذا المقبور؛ فقد وقع في الشرك وإن سماه وسيلة.

إذًا الذي يسمون هذا وسيلة، نقول هذا باطلة.

و"الوسيلة" ذكرنا أنها نوعان:

—نوع باطل.

—ونوع صحيح.

والوسيلة الصحيحة: هو كل ما يقرب إلى الله. والوسيلة هنا في الآية: هو كل ما يقرب إلى الله، مثل: الصلاة وسيلة إلى الله، والصوم،وسيلة إلى الله وجميع العبادات وسلية إلى الله .

ومن المسائل: ما هو معنى "التوسل"؟

التوسل: هو أن يقرن الإنسان بدعائه أمرًا يكون سبب في إجابته.

←والتوسل الصحيح ستة أقسام:

●**القسم الأول:** التوسل إلى الله -عَزَّ وَجلّ- بأسمائه، **وهو على وجهين:**

—**الوجه الأول:** أن يتوسل إلى الله -عَزَّ وَجلّ- بجميع أسمائه.

— **الوجه الثاني:** أن يتوسل إلى الله -عَزَّ وَجلّ- باسمٍ خاص يُناسب مطلوبه.

أما الأول: التوسل إلى الله بجميع أسمائه، دلَّ عليه ما جاء عند الإمام أحمد، من حديث عبد الله بن مسعود:**أَنَّ النَّبِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَال:«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلّ اِسْمٍ هُوَ لَك، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسِك، أَوْ أَنْزَلْتَهُ بِكِتَابِك، أَوْ عَلَّمْته احِدًا مِنْ خَلْقِك، أَوْ اِسْتَأْثَرت بِهِ فِي عِلْم الْغَيْب عِنْدك:"أَنْ تَجْعَل الْقُرْآن الْكَرِيم رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُور صَدرِي، وَجَلاء هَمِّي، وَذِهَاب حُزْنِي وَهَمّ"»** هذا الحديث صحَّحهُ الألباني -رَحِمَهُ اللهُ-.

الوجه الثاني: التوسل إلى الله -عَزَّ وَجلّ- باسمٍ خاص،كأن يقول:(اللَّهُمَّ إني أسألك بأنك غفور أن تغفر لي اللهم إني أسألك بأنك رحيم أن ترحمني ، اللَّهُمَّ يا كريم أكرمني، اللَّهُمَّ يا رزاق ارزقني، وهكذا. قال -تَعَالَى-:﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

●**القسم الثاني:** التوسل إلى الله -عَزَّ وَجلّ- بصفاته.

وهو أيضًا على وجهين:

الوجه الأول: أن يتوسل بجميع صفات الله -عَزَّ وَجلّ-؛ كأن يقول:(اللَّهُمَّ إنّي أَسألك بِصِفَاتك العُلا)، هذا التوسل بجميع الصفات.

الوجه الثاني: أن يتوسل إلى الله -عَزَّ وَجلّ- بصفة خاصة، كما جاء عن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أنه قال: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِك الْغَيْب، وَبِقُدْرَتِك عَلَى الْخَلْقِ،أَحْيِنِي مَا كَانَت الْحَيَاة خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَت الْوَفَاةُخَيْرًا لِي».

●**القسم الثالث:** التوسل إلى الله -عَزَّ وَجلّ- بالعمل الصالح.

كما في حديث جاء في الصحيحين، من حديث عبد الله بن عمر:"**أَنَّ النَّبِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَخْبَرَ عَنْ أُنَاس كَانُوا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَنَا،قَالَ:«آوَوْإِلَى صَخْرَة، فَانْحَدَرَتْ عَلَيْهِم الصَّخْرَة، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعْض: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ اليَوم، إِلَّا أَنْ تَسَألُوا الله بِصَالِح أَعْمَالِكُم»**"، هذا وجه الشاهد:«**بِصَالِح أَعْمَالِكُم**».

وكانوا ثلاثة، فسأل كل واحدٍ منهم بعمله،:"أحدهم سأل: بأنه كان له أبوين بار فيهم، والثاني: بعفته عن الزنا، والثالث: بأمانته في الأجرا". هذه مختصرة أعمالهم.

●**القسم الرابع:** التوسل إلى الله -عَزَّ وَجلّ- بِذكر حال الشخص.

كأن يقول الإنسان: (اللَّهُمَّ إنه قد مسني الضُّر وأنت أرحم الرحمين)، أو يقول:(اللهم إني فقير، وتعلم فقري وذُلِّي ومسكنتي، فارزقني أو فاشفني، و هكذا).

والدليل على ذلك: أن موسى -عَلَيْهِ السَّلام- لَمَّا سقى للمرأتين، تنحى إلى الظل، ثم قال: «اللَّهُمَّ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص:٢٤]»، يعني يذكر الإنسان حاله وفقره، وذُله، وأنه مسكين، وفقير وذليل، هذا من أسباب إجابة الدعاء.

●**القسم الخامس:** التوسل إلى الله -عَزَّ وَجلّ- بالإيمان به وبرسوله.

كما ذكر الله -عَزَّ وَجلّ- عن المؤمنون، أنهم قالوا:﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾[آل عمران:١٩٣].الآية، فذكروا أنهم آمنوا بالله ورسوله ثم سألوا الله -عَزَّ وَجلّ-، وتوسلوا إلى الله بإيمانهم بالله وبرسوله.

●**القسم السادس:** التوسل إلى الله -عَزَّ وَجلّ- بدعاء الرجل الصالح.

كأن تأتي إلى شخص حيّ حاضر، فتقول:(يا فلان، ادعُالله لي)، فهذا لا بأس به.**والدليل على ذلك:** ما جاء في صحيح البخاري، من حديث أنس: أن عمر رضي الله عنه قال «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا» قُمْ يَا عبَّاس فادعُ الله.

—وكما جاء في الصحيحين، من حديث أنس: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ فقَالَ:"يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، قَالَ: **فقَالَ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا »".**

—والمرأة التي أتت النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَتْ: "يَا رَسُول الله، إِنِّي أُصْرَعُ، فأَتَكَشَّف، فَادْعُ اللَّهَ أنْ يُشْفِينِي".

كان فيها صرع، كانت امرأة سوداء يُصيبها الصرع فتسقط، فتتكشف ثيابها، فقالت:"يَا رَسُول الله، إِنِّي أَتَكَشَّف، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُشْفِيني، فقَالَ:**«إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ لَكِ»،** فَقَالَتْ: يَا رَسُول الله، بلْ أَصْبِر ، وَلَكن ادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا الله لَهَا".

إذًا هذه أدلة.

■**رابعًا: ومن المسائل:**حكم التوسل بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

التوسل بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على أقسام ثلاثة:

الأول: التوسل بدعاء النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فهذا جائزٌ في حال حياته لا بعد مماته؛ أي أن بعد موت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يجوز أن يأتي الشخص إلى النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيقول:ادعُ الله لِي.

والدليل: ما تقدم، في الحديث أن عمر قال: «كُنَّا نَتَوَسَّلُ اليك بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا»،أي بدعاءه لو كان مشروع لأتى إلى قبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وقال أدع لنا ولكنه لايشرع ولايجوز ولذا قال ياعباس قم فأدع الله لنا اذا ليس بمشروع بل لا يجوز،أن يأتي إلى النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويقول: (ادعُ الله لي) لا يجوز هذا.

الثاني: التوسل بالإيمان بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فهذا جائزٌ في حال حياة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وبعد مماته.

والدليل: ما تقدم من الآية؛ كما قال -تَعَالَى-: قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[آل عمران:١٩٣] فتوسلوا بالإيمان بالله وبرسوله.

الثالث: التوسل بجاه النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فهذا لا يجوز في حال حياة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولا بعد مماته.

مثال ذلك:أن يقول: (اللَّهُمَّ إني أسألك بجاه نبيك، أن تغفر لي) ، فهذا لا يجوز في حال حياة النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولا بعد موته؛ لأنه بدعة ووسيلة إلى الشرك.

لماذا؟

لأن جاه النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خاصٌ به، فكأنك تقول:"اللَّهُمَّ إني أسألك بصلاة نبيك، بصوم نبيك"، اذا لا يجوز هذا.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: **القاعدة الرابعة**

المتن

القاعدة الرابعة: أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين، لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥].

الشرح

إجمال هذه القاعدة: يبيّن الإمام محمد عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ- أن المشركين في زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب أشدّ شركًا من الذين بُعث فيهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛وذلك أن الذين بُعث فيهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كانوا يخلصون إذا وقع عليهم شدَّة، وإذا كانوا في رخاء وعيش هنيء أشركوا.

وأما الذين في زمن الإمام -رَحِمَهُ الله- كانوا يشركون في حال الشدَّة وفي حال الرخاء؛ فهم أغلظ شركًا، **هذا من حيث الإجمال.**

وأما من حيث الشرح: يقول: **(القاعدة الرابعة: أنّ مشركي زماننا)** يعني: زمن الإمام محمد عبد الوهاب **(أغلظ شركًا)** يعني أشد شركًا**(من الأوّلين)**.

(الأوّلين):المشركين الأوائل.

قال:**(لأنّ الأوّلين)** هذا التعليل**(لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء)** يعني: في حال السعة يشركون، أي إذا كانوا في حال سعة وعيش هنيء أشركوا.

(ويُخلصون) أي: يوحِّدون الله ويدعونه وحده**(في)** حال**(الشدّة)** يعني في حال الضنك وفي حال ما يكون عليهم فيه من اشتداد الأمرور يخلصون لله الدعاء.

وقوله:**(ومشركو زماننا)** يعني: زمن الإمام محمد عبد الوهاب **(شركهم دائم)** يعني: مستمر،**(دائم)** هنا يعني: مستمر.

(في الرخاء والشدّة) يعني: في حال السعة يشركون، وفي حال الشدَّة والضنك يشركون، يعني شركهم دائم، هذا وجه كونهم أشد شركًا، وقد يكونون في الرخاء أشد.

(والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾)قوله تعالى: **﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾** أي: ركب أولئك المشركون في السفن.

﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾يعني: لجأوا إلى الله وحده وتركوا دعاء غير الله،﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يعني: الدعاء.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ يعني: فلما أن الله -عَزَّ وَجَل- أخرجهم من ظلمات البحر إلى البراري، أشركوا.

قال تعالى:﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾أي: إذا هم يسوُّون بالله غيره في عبادته.

هذه القاعدة فيها مسائل:

المسألة الأولى: أن المشركين الأوائل كان شركهم حال الرخاء؛ يعني إذا كانوا في حال رخاء وسِعة أشركوا، وإذا اشتدَّ بهم الأمر وانغلقت دونهم الأبواب تركوا هذه الأصنام وأخلصوا الدعاء إلى الله.

لذلك قال قتادة -رَحِمَهُ اللهُ-:"إن المشركين كانوا إذا ركبوا في السفن أخذوا أصنامهم—يعني في السفن- فإذا عصفت بهم الرياح قذفوا الأصنام في البحر، فقالوا: يا الله، يا الله" هؤلاء المشركين الأوائل، سبحان الله!

(والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾) يعني: في السفن، فضربت عليهم الأمواج وتلاطمت، عرفوا أنه لا ينجيهم من هذه الشدَّة إلَّا الله؛لذلك ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

وأما المشركين في زمن الإمام محمد عبد الوهاب وأيضًا في زماننا هذا الذي نحن فيه هم أشد شركًا؛ لأنهم وقعوا في الشرك حال الرخاء؛ يعني إذا كانوا في سعة ورغد من العيش يشركون بالله غيره، وإذا اشتدَّت بهم الأمور وضاقت بهم السبل أشركوا بالله أيضًا؛ كمن يقول:"يا حسين يا حسين" في حال الشدَّة، أو يقول:"يا بدوي يا بدوي" في حال الشدَّة، هذا عندنا الآن في زماننا، وفي زمن الإمام محمد عبد الوهاب أيضًا يقولون:"يا عبد القادر"!

في حال الشدَّة يعني تلاطمت الأمواج وأُغلقت السبل أمامهم يدعون هذه الأصنام، هذا شرك،وهوأشدّ شركا.

وأيضًا فيه وجه آخر: أن المشركين الأوائل كانوا يدعون أشجار أو أحجار أو أنبياء أو ملائكة، يدعون إمَّا طائع لله مثل الملائكة والأنبياء والصالحون، أو ما لا يعصي الله مثل: الشجر والحجر، ، وأما مشركي هذا الزمن فيدعون أُناسًا من أفسق خلق الله -نسأل الله العافية- كما يدعون الذين يفعلون المعاصي ويقعون فيها ويقولون: نحن أولياء!يعني الذين يفعلون معاصي ويفعلون ما لا ينبغي أصلًا ذكره ويقولون:"نحن أولياء الله" فيدعونهم من دون الله، كما جاء عن بعضهم -نسأل الله العافية- وهذا كانوا يعظِّمونه.

وإن كان الشرك لا يُفرَّق فيه في من دعا صالحًا أو طالحًا، لا يُفرَّق، لماذا؟لأن العبادة حقٌّ لله محض، لا يجوز شرك غيره به.

ولكن الشرك يتفاوت؛ من حيث أن من دعا غير الله -عَزَّ وَجَل- في حال الشدَّة والرخاء فهذا أعظم شرك،ومن دعا فاسقا من دون الله فهذا أعظم شركا ، وإن كان الكل شرك، نسأل الله العافية.

هذه القواعد مما ينبغي التنبيه عليها وأنه ينبغي حفظها وتفهُّمها، هذا والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد